**هل كل من ثبت له شرف الصحبة أفضل من كل من ليس من الصحابة؟**

هذه المسألة فيها قولان مشهوران لأهل العلم:

**القول الأول، وهو قول جمهور العلماء:** أن كل من ثبت له شرف الصحبة أفضل من كل من جاء بعد الصحابة، حتى وإن كان ذلك الصحابي ممن ظلم نفسه بكبيرة من الكبائر كقاتل نفسه أو الغال أو كان من الأعراب الذين قالوا: آمنا فقال الله: قل: لم تؤمنوا ولكن قولوا: أسلمنا، فعند جماهير العلماء أن كل من ثبت له لقيا النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به فهو أفضل من كل من جاء بعده ولو كان من أكابر علماء الأمة أو مجاهديها أو عبادها أو زهادها، وقالوا: شرف الصحبة لا يعدله شيء.

**القول الثاني:** أنه يمكن لبعض من جاء بعد الصحابة أن يكون أفضل من بعض الصحابة.

قال الحافظ العلائي في كتابه تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة ص 74: "ذهب بعضهم إلى أنه لا يلزم من تفضيل مجموع القرن الأول على من بعده تفضيل كل فرد فرد من القرن الأول، على كل فرد فرد ممن بعدهم، ورأوا أن في آخر الزمان من يكون أفضل من بعض آحاد الصحابة رضي الله عنهم. وهذا اختيار ابن عبد البر والقرطبي للجمع بين جميع الأحاديث، واستثنى ابن عبد البر أهل بدر والحديبية للتنصيص على فضلهم على كل هذه الأمة".

وأكثر السلف وجماهير علماء أهل السنة على القول الأول، قال علي بن المديني رحمه الله: " أفضل الناس بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرن الذي بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم، كلهم مَن صَحِبَه سَنةً أو شهراً أو ساعةً، أو رآه، أو وفد إليه فهو من أصحابه، له من الصُّحبة على قدر ما صحبَه، فأدناهم صحبةً هو أفضلُ من الذين لَم يروه، ولو لقوا الله عزَّ وجلَّ بجميع الأعمال، كان الذي صحب النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ورآه بعينيه وآمن به ولو ساعة أفضلَ بصُحبته من التابعين كلِّهم، ولو عملوا كلَّ أعمال الخير" ينظر: اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (1/187-188). وقال نحو هذا أيضا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كما في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (1/ 180).

وقال ابن بطة رحمه الله: " ويُشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنة والرضوان, والتوبة والرحمة من الله, ويستقر علمك وتوقن بقلبك أن رجلاً رأى النبي صلى الله عليه وسلم وشاهده وآمن به واتبعه ولو ساعة من نهار, أفضل ممن لم يرده ولم يشاهده, ولو أتى بأعمال أهل الجنة أجمعين". ينظر: الإبانة الصغرى (ص290-291).

**والذي يظهر لي أن القول الثاني أصح، وقد وجدت عليه دليلا من القرآن العظيم لم أجد أحدا نبه عليه،** فإن كان الاستدلال صحيحا فهذا من فضل الله، وإن كان خطأ فهو من نفسي والشيطان، وتبقى المسألة اجتهادية يُتكلم فيها بالحجج العلمية, ولا يُضلل المخالف.

والدليل هو قوله تعالى في سورة الواقعة: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ \* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ} [الواقعة: 10 - 14] ، ثم قال سبحانه عن أصحاب اليمين: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ \* وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ } [الواقعة: 39، 40]، وقد رجح العلامة المفسر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره (7/ 518): أن المراد بقوله: {ثلة من الأولين} أي: من صدر هذه الأمة، {وقليل من الآخرين} أي: من هذه الأمة، ونقل هذا عن الحسن البصري وابن سيرين.

فهذه الآيات واضحة الدلالة على أن بعض آخر هذه الأمة أفضل من أولها، فإن الله أخبر أن السابقين المقربين - وهم قطعا أفضل الناس- هم جماعة كثيرة من الأولين وجماعة قليلة من الآخرين، وأخبر الله أن أصحاب اليمين - وهم دون المقربين في الفضل - جماعة كثيرة من الأولين وجماعة كثيرة من الآخرين، فدل هذا بوضوح على أن من الآخرين من هم من المقربين، وأن من الأولين من هم من أصحاب اليمين، وهذا دليل واضح جدا على أن بعض الآخرين يكونون أفضل من الأولين؛ لأن الآيات تنص على أن بعض الآخرين هم من المقربين السابقين، وأن بعض الأولين هم من أصحاب اليمين، وهذا الدليل نص أو ظاهر في هذه المسألة.

ويدل أيضا على ثبوت أفضلية بعض من يأتي في آخر الزمان قوله تعالى: {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم }، فهؤلاء الأعراب رضي الله عنهم لهم شرف الصحبة، ومع هذا أخبر الله أنهم لم يصلوا إلى مرتبة الإيمان التي أنكر عليهم ادعاؤها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (7/ 251): "هؤلاء من فساق الملة، فإن الفسق يكون تارة بترك الفرائض، وتارة بفعل المحرمات، وهؤلاء لما تركوا ما فرض الله عليهم من الجهاد، وحصل عندهم نوع من الريب الذي أضعف إيمانهم لم يكونوا من الصادقين الذين وصفهم، وإن كانوا صادقين في أنهم في الباطن متدينون بدين الإسلام. وقول المفسرين: لم يكونوا مؤمنين نفي لما نفاه الله عنهم من الإيمان كما نفاه عن الزاني والسارق والشارب وعمن لا يأمن جاره بوائقه وعمن لا يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه، وعمن لا يجيب إلى حكم الله ورسوله وأمثال هؤلاء. ثم قال: هؤلاء الأعراب من جنس أهل الكبائر لا من جنس المنافقين" انتهى كلامه، ولا شك أن كثيرا من الذين جاءوا بعد الصحابة وصلوا إلى مرتبة الإيمان، وليسوا من أهل الفسق الكبائر، فهم أفضل من كثير من هؤلاء الأعراب رضي الله عنهم.

ويدل على ثبوت أفضلية بعض من يأتي في آخر الزمان كثير من الأحاديث الصحيحة أكتفي هنا بذكر خمسة أحاديث وهي:

1- روى أحمد في مسنده (16976) عن ابن محيريز قال: قلت لأبي جمعة: حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نعم، أحدثك حديثا جيدا، تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال: يا رسول الله هل أحد خيرٌ منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك. قال: "نعم قوم من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني". وهذا الحديث صححه الألباني في السلة الصحيحة (3310) والأرناؤوط في تحقيق المسند (28/182). والظاهر أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث تفضيل بعض آخر هذه الأمة على بعض أصحابه من غير أهل بدر والحديبية؛ لأن أهل بدر والحديبية قد فضلهم الله على كل من جاء بعدهم، فقال سبحانه: {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير}، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ممن قاتل من قبل الفتح وقاتل فهو أفضل من كل من جاء بعده، ولكن يحمل الحديث على ما ذكرته جمعا بين الآية والحديث، وقد يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة ويريد بعضهم كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه» متفق عليه.

2- روى مسلم (249) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة، فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا» قالوا: أولسنا إخوانك؟ يا رسول الله قال: «أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد» فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ يا رسول الله فقال: «أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى يا رسول الله قال: " فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا ". قال القاضي عياض اليحصبي رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث في كتابه إكمال المعلم بفوائد مسلم (2/ 49) :" ذهب أبو عمرو بن عبد البر في هذا الحديث وغيره من الأحاديث في فضل من يأتي آخر الزمان إلى أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل ممن كان من جملة الصحابة، وأن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "خيركم قرني" على الخصوص معناه: خير الناس قرني. أي السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن سلك مسلكهم، فهؤلاء أفضل الأمة، وهم المرادون بالحديث. وأما من خلط في زمنه صلى الله عليه وسلم وإن رآه وصحبه ولم يكن له سابقة ولا أثر في الدين فقد يكون في القرون التي تأتي بعد القرن الأول من يفضلهم على ما دلت عليه الآثار، وذهب إلى هذا غيره من المتكلمين على المعاني، وذهب معظم العلماء إلى خلاف هذا، وأن من صحب النبى صلى الله عليه وسلم مرة من عمره، وحصلت له مزية الصحبة؛ أفضل من كل من يأتي بعده، وأن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، قالوا: وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)، وحجة الآخر عن هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعضهم عن بعض، فدل أن ذلك للخصوص لا للعموم"، وقد يُفهم من كلام القاضي عياض أنه يقوي قول ابن عبد البر بأنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل ممن كان من جملة الصحابة، والله أعلم.

3- روى مسلم في صحيحه (2897) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا، والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية"، والشاهد فيه كونهم أفضل الشهداء عند الله.

4- روى أحمد (22138) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرار " وحسنه الأرناؤوط، وصححه الألباني.

5- روى محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة مرفوعا: (إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم. قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: بل منكم)، صححه الألباني وذكر شواهده في سلسلة الأحاديث الصحيحة (494)، وهذا الحديث مختلف في صحته، ولا يلزم على صحته أن يكون الأكثر أجرا أكثر فضلا، وقد ذكرته للاستئناس به، وليس الاعتماد عليه، والله أعلم.

6- روى الترمذي (2869) عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :"مثل أمتي مثل المطر، لا يُدرى أوله خير أم آخره" وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (5/355) وذكر أنه جاء من حديث أنس وعمار بن ياسر وعبد الله بن عمر وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهم، والراجح أن هذا الحديث ضعيف، فهو من مراسيل الحسن البصري، كما ذكر ذلك أحمد بن حنبل وغيره، ينظر: المسند المصنف المعلل (3/ 500)، وإنما ذكرته للاستئناس به في هذه المسألة.

فهذه الأدلة المتضافرة من القرآن والسنة تدل بوضوح على إمكانية تفضيل بعض آخر هذه الأمة على بعض الصحابة الذين لم يثبت لهم شرف القتال والإنفاق من قبل الفتح، وإن كانوا كلهم موعودين من الله بالحسنى، كما وعد كل من قاتل وأنفق من بعد الفتح بالحسنى، قال الله تعالى: {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى}، فهذه الآية أصل في التفضيل فاعتصم بها، فلا يمكن لأحد بعد الصحابة أن يكون أفضل من السابقين من المهاجرين والأنصار أهل بدر والحديبية، الذين أخبر الله في كتابه بأنه رضي عنهم، ونص على أنه لا يساويهم أحد جاء بعدهم، أما غير السابقين فيمكن كما دلت عليه الأدلة المذكورة.

وهذه مسألة اجتهادية يتكلم فيها بالحجج العلمية، ولا يبدع المخالف ولا يضلل، وإني لأعجب من بعض المعاصرين الذين يوصفون هذا القول بأنه بدعة وأنه محدث، ولو أنهم ذكروا الخلاف ورجحوا القول الأول وضعفوا القول الثاني بما يظهر لهم من أدلة لكان الأمر سهلا، أما أن ينكروا وجود القول الثاني، أو يضللوا من قال به، فهذا ليس من الإنصاف، وما أحسن فتوى الشيخ الدكتور عبد الحي يوسف السوداني في هذه المسألة، ونص السؤال الذي وجه إليه: من المعلوم أن قرن الصحابة رضوان الله عليهم هو أفضل القرون، لكن هل من الممكن أن يأتي من غير قرن الصحابة -التابعين مثلا- من هو أفضل من فرد من أفراد الصحابة؟

الجواب: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فقد ثبت من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال {خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجئ قوم ينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويظهر فيهم السمن} متفق عليه، والذي عليه أكثر العلماء أن من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ورآه مرة من عمره، وحصلت له مزية الصحبة، أفضل من كل من يأتي بعده؛ فإن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، قالوا: وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم {لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه}، وذهب بعض أهل العلم إلى أن المقصود تفضيل المجموع على المجموع لا الجميع على الجميع، وعليه فلا مانع من وجود بعض التابعين الذين يكونون أفضل من بعض الصحابة من بعض الوجوه، مع بقاء شرف الصحبة لأولئك، والله تعالى أعلم.

وهذه الفتوى منشورة في موقع مشكاة:

<http://www.meshkat.net/node/15944>

والحقيقة أن القول الأول فيه إشكالات كثيرة تمر بالباحث المنصف، ولا تزول تلك الإشكالات إلا بترجيح القول الثاني، فمثلا ثبت في صحيح البخاري (4747) عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك ابن سحماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «البينة أو حد في ظهرك»، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟! فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك» فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه: {والذين يرمون أزواجهم} فقرأ حتى بلغ: {إن كان من الصادقين}، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟» ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها، وقالوا: إنها موجبة، قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت، حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الأليتين، خدلج الساقين، فهو لشريك ابن سحماء»، فجاءت به كذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن». فكيف يمكن أن نفضل هذه المرأة رضي الله عنها ورحمها وغفر لها على كل من جاء بعدها من علماء الأمة ومجاهديها وعلمائها وزهادها؟!

ونحن نترضى عنها دعاء لا إخبارا، ويجوز أن نترضى عن كل مسلم من باب الدعاء لا الإخبار.

وقد ثبت بالنص القرآني أن أحد الصحابة فاسق وهو الذي أنزل الله فيه: { ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين}، فكيف نقول إنه أفضل من كل من جاء بعده؟!

ونحن لا نحكم عليه بالكفر، ونترضى عنه دعاء لا إخبارا، ولكن لا نفضله على كل من جاء بعده من أعلام الأمة ونبلائها وفضلائها.

وذلك الصحابي أبو الغادية يسار بن سبع الجهني قاتل عمار بن ياسر، له صحبة كما في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (7/258)، ونحن نترضى عنه من باب الدعاء لا الإخبار، مع أنه ثبت في الحديث الصحيح أن قاتل عمار وسالبه في النار كما في السلسة الصحيحة للألباني (2008)، وقال الألباني بعد تخريجه الحديث (5/ 19) : وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم، وأبو الغادية هو الجهني وهو صحابي كما أثبت ذلك جمع، وقد قال الحافظ في آخر ترجمته من الإصابة بعد أن ساق الحديث، وجزم ابن معين بأنه قاتل عمار: " والظن بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا فيها متأولين، وللمجتهد المخطىء أجر، وإذا ثبت هذا في حق آحاد الناس، فثبوته للصحابة بالطريق الأولى ". وأقول -الكلام للألباني- : هذا حق، لكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مشكل؛ لأنه يلزم تناقض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة، إذ لا يمكن القول بأن أبا غادية القاتل لعمار مأجور لأنه قتله مجتهدا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " قاتل عمار في النار "! فالصواب أن يقال: إن القاعدة صحيحة إلا ما دل الدليل القاطع على خلافها، فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح بها، والله أعلم" انتهى كلام الألباني رحمه الله.

وعلى كل حال فالقاعدة عند أهل السنة أنه يجوز أن ندعو لأي مسلم عاص بالرحمة والرضوان وإن كان عاصيا، ويجوز أن ندعو له ولو ثبت أنه سيُعذَّب ما دام أنه مسلم، فمثلا روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر، ففتح الله علينا، فلم نغنم ذهبا ولا ورقا، غنمنا المتاع والطعام والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له، وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب، فلما نزلنا الوادي، قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله، فرمي بسهم، فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئا له الشهادة يا رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلا والذي نفس محمد بيده، إن الشملة لتلتهب عليه نارا، أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم»، فهذا العبد الغال صحابي مسلم، ولا شك أنه يجوز أن ندعو له بالرحمة ونترضى عنه حتى ولو ثبت أنه يُعذَّب في قبره بسبب معصيته؟!! فغلوله ليس كفرا بل كبيرة من الكبائر، وإن عذب الله صاحب الكبيرة فإنه لا يخلده في النار، قال الله سبحانه: { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}، وأحاديث الشفاعة وخروج عصاة الموحدين من النار متواترة لا ينكرها إلا أهل البدع والضلالة، والصحابة أولى الناس بالشفاعة، ومعلوم أن الصحابي قد يقع في كبيرة، فهم غير معصومين، وقد ثبت أن أحد الصحابة قتل نفسه كما في صحيح مسلم (978) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «أُتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل قتل نفسه بمشاقص، فلم يصل عليه»، وروى مسلم في صحيحه (116) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: هاجر الطفيل بن عمرو الدوسي وهاجر معه رجل من قومه، فاجتووا المدينة، فمرض، فجزع، فأخذ مشاقص له، فقطع بها براجمه، فشخبت يداه حتى مات، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه، فرآه وهيئته حسنة، ورآه مغطيا يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: ما لي أراك مغطيا يديك؟! قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت، فقصها الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم وليديه فاغفر»، ولعل هذا الصحابي رضي الله عنه هو نفس الصحابي الذي قتل نفسه ولم يصل عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ومع هذا دعا له نبي الرحمة بالمغفرة، فنحن ندعو لكل مسلم بالمغفرة والرحمة وإن كان عاصيا وإن كان فاسقا وإن ارتكب كبيرة مادام أنه مسلم كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الصحابي الذي قتل نفسه، ونقول عنه: رضي الله عنه دعاء لا خبرا.

وهذه مسألة مهمة جدا، فنحن عندما نترضى على المبشرين بالجنة كالخلفاء الراشدين وبقية العشرة وأصحاب بدر والحديبية، هو من باب الإخبار والدعاء، أما عندما نترضى عن غيرهم ممن لم يثبت بالنص كونهم من أهل الجنة فهو من باب الدعاء لا الإخبار، وبهذا يزول كثير من الإشكال.

فليس ترضينا عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، كترضينا عن صحابي قتل نفسه أو قتل مسلما أو ظلم نفسه بالغلول أو شرب الخمر أو الزنا أو غير ذلك، فترضينا عن الأولين إخبار ودعاء، وترضينا عن الآخرين دعاء لا إخبار.

وهذا يؤيد القول بأن تفضيل قرن الصحابة على من بعدهم هو من باب تفضيل المجموع على المجموع لا الجميع على الجميع، وأنه لا مانع من كون بعض المتأخرين من فضلاء هذه الأمة من العلماء الراسخين والعباد المخلصين والمجاهدين والدعاة الصادقين أفضل من بعض غير السابقين من الصحابة، كما قال تعالى عن السابقين المقربين من هذه الأمة: {ثلة من الأولين \* وقليل من الآخرين}.

هذا والله أعلم، ورضي الله عن جميع الصحابة السابقين واللاحقين، {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

وكتب/ محمد بن علي بن جميل المطري